المحاضرة الثامنة الموضوع وإشكالية تمثيل مضمون الخطاب

يعد الخطاب أحد الأشكال اللغوية المعقدة، إذ هو مرسلة لغوية يحاول فيها المخاطِب نقل مراده والتأثير في المخاطَب، غير أن موضوع الخطاب لا يتشكل إلا من خلال سياق مقالي وحالي بين طرفي الخطاب، فالموضوع هو الركيزة الأساسية التي نشأ من أجلها الخطاب وليس يمكن فهمه إلا إذا فهم المتلقي هذا الأمر وفق خلفياته الثقافية والاجتماعية.

1-موضوع الخطاب:

يشير مصطلح موضوع الخطاب إلى المحتوى الذي يحمله الخطاب، فكل خطاب له موضوعه الذي يشتغل عليه المتكلم، فالمتكلم لا يتحدث اعتباطا بل هو يحاول من خلال رصف الكلمات والجمل أن يثير مسألة معينة وجعلها موضوعا لخطابه، أي أنه من خلال خطابه يحدث المتلقي عن قضية من القضايا التي يشتركان فيها، يمكن أن يكون هذا الموضوع قضية اجتماعية، أو دينية، أو سياسية، أو ثقافية، أو معرفية...وغير ذلك.

أ-خصائص الخطاب:

من أهم خصائص الخطاب:[1]

[1]) G. Mounin (1974) : Dictionnaire de la linguistique, Quadrige/

-الخطاب نمط من الأفعال، إذ يمكن أن تتحول الأقوال إلى أفعال مختلفة باختلاف السياقات.

-الخطاب تفاعل يتجلى في المحادثات التي يسعى فيها أصحابها الى التنسيق بين ملفوظاتهم أثناء الحوار.

-يتشكل الخطاب في معالم زمانية ومكانية وشخصية.

-يخضع الخطاب لمجموعة من المعايير الاجتماعية والثقافية...

2-تمثل مضمون الخطاب:

إن تمثل مضمون الخطاب لا يمكن إلا من خلال الوقوف على الظروف التي ينشأ فيها الخطاب فعليا، ذلك لأن خصائص الخطاب تجعل تمثل محتواه إشكالية لابد أن تعالج من خلال حمل الخطاب على سياق معين، سواء كان هذا السياق لغويا أو مقاميا، ولهذا عد السياق ركيزة أساسية في فهم الخطاب ومحتواه.

فالقارئ يواجه تحديات في فهم محتوى الخطاب وتمثله تمثلا صحيحا، وهذا راجع إلى التفاعل بين اللغة والسياق والثقافة، إذ يعد الخطاب في حقيقة الأمر نتاج هذه المسائل الثلاثة، فكل خطاب له سياق نتج فيه، وخلفيات ثقافية محملة ومتسربة داخل لغة الخطاب، إننا نتحدث عن ذاتية الكاتب والمبدع التي لا تنفك عن الاندماج مع خطابه.

3-الثقافة ودورها في فهم الخطاب:

يأتي السياق الثقافي كواحد من أهم القرائن المهمة في تحديد معنى النص وتوجيه دلالته حين يسعى إلى ربط النتاج الأدبي بمدعه ومتلقيه والظروف الاجتماعية التي

انغمس فيها النص لأن اللغة نشاط اجتماعي يتوقف فهمها على الاحاطة بمكونات المجتمع من عادات وأعراف وتقاليد وثقافات.[2]

إن فهم الخطاب وتمثل محتواه يكون من خلال القراءة الثقافية، "هذه القراءة تسعى إلى رصد التفاعل بين مرجعية النص الثقافية والوعي الفردي للمبدع، فتنطلق من الخلفية الثقافية للنص مرورا بتأويل مقاصد المبدع ووعيه وانتهاء بدور القارئ الناقد حيث ينفتح المجال أمامه لتأويل العلاقة بين دور المنهج دلاليا و جماليا داخل النص ودوره الاجتماعي في الثقافة، و إبراز قيمته الإنسانية في تشكيل الخطاب النقدي الثقافي. و لهذا فإن القراءة الثقافية هي قراءة تواصلية تتطلب وعيا بالمنجز الثقافي لأنها تعاين النص من منظور ثقافي متحرك، وليس من منظور جمالي يفترض أنه ثابت و يخضع لضوابط وممارسات محددة"[3] ويمكن أن نحدد هذه القراءة وفق الآليات التالية:

الإطار المرجعي:

ويقصد به تحديد الإطار الثقافي والاجتماعي الذي نتج فيه الخطاب، إذ إن كل خطاب يتمخض ويلد داخل الجماعة اللغوية، فلا يمكن أن يلد هذا الخطاب دون أن يكون له إطار مرجعي.

السياق الاجتماعي:

---

[2] يوسف العايب، السياق الثقافي ودوره في فهم إنتاج المعنى وتوجيه دلالة النص، مجلة الأثر، ع27، 2016، ص 112.

[3] عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص10.

وهو مجموعة الظروف الاجتماعية الممكن بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي، فهو المعطيات التي يشترك فيها المرسل والمستقبل حول المقام الثقافي والنفسي والتجارب المشتركة بينهما والمعارف الخاصة بكل منهما.[4]

القيم والمعتقدات:

إنها عبارة عن القيم والمبادي المكتسبة التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والمتدرجة من الأهم إلى المهم تحت أطر وقوانين ومقاييس انبثقت من جماعة ما، وتكون لها من القوة والتأثير عليه وعلى الجماعة.[5]

فالقيم والمعتقدات التي يؤمن بها المبدع تتسرب إلى خطابه، إذ إن الخطاب غير بريء منها بتاتا، وتؤثر لا محالة في فهم محتوى الخطاب، وعلى القارئ أن يعي جيدا بأن الكاتب يكتب من أجل هذه القيم التي يؤمن بها، فهذا الرؤية تساعد في فهم الخطاب وتظهر التحيزات الثقافية فيه. وهي قيم دينية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، ....

المعرفة المشتركة:

يعرفها طه عبد الرحمان بأنها "جملة من الاعتقادات والتصورات والتقويمات عن الذات والغير والأشياء والمعاني يشترك فيها المتكلم والمخاطب مع جمهور الناطقين"[6] فهذه المعرفة المشتركة هي الموضع الذي يلتقي فيه المتكلم والمستمع، وعليها يتفقان، وإليها يرجعان.

---

[4] مسعود بودوخة، اجتماعية الكناية بين التخييل والتأويل، مجلة الأثر، مج11، ع16، 2012 ص201.

[5] صادق عز الدين، مقاربة نظرية لمفهوم القيم الشخصية وتفسيرها حسب مختلف العلوم، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج03، ع01، 2020، ص95.

[6] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 1998، ص152.

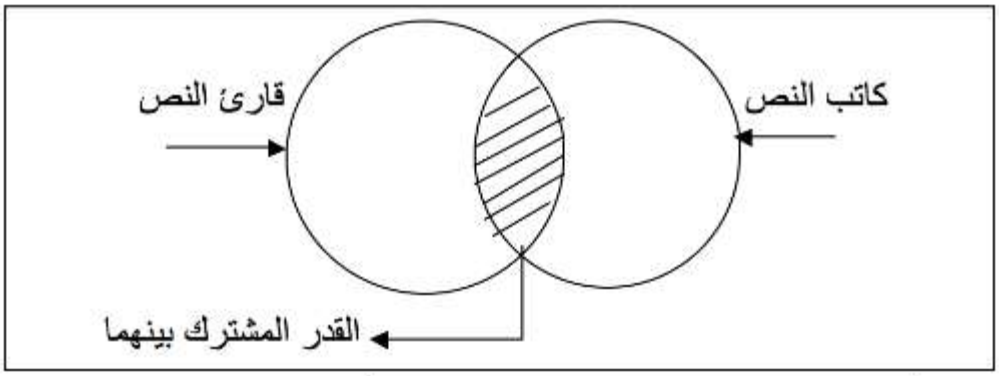

مخطط يمثل عملية التواصل
(بشير إبرير، مجلة علوم اللسان،
العدد 10، 2005، ص46)